



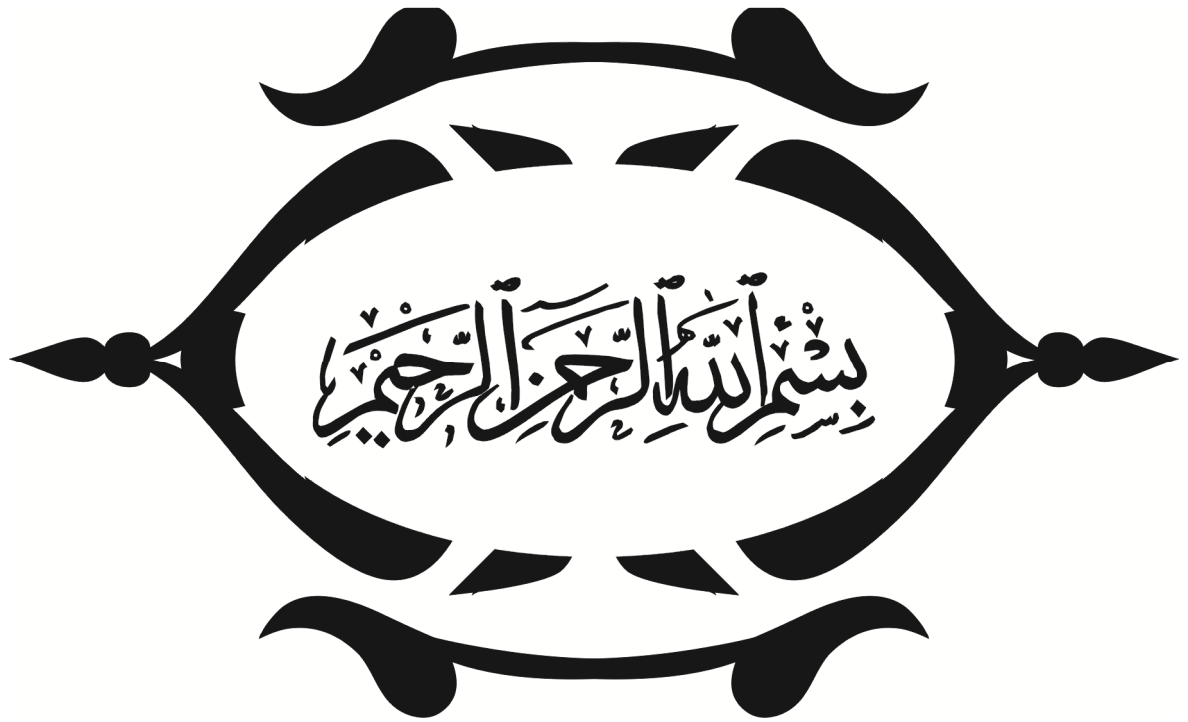
مجتمع فقهاء الشريعة بأمريكا

معوقات العمل الدعوي في المساجد والمراكز الإسلامية في الغرب وسبل التعامل معها

إعداد

د. أحمد الشقيرات

Imam Ahmad was born and raised in Jordan. He memorized the Qur'an at young age. He is a Ph.D holder in Hadeeth, and an author of 12 published books in Arabic and one in English. He is the Imam of the Islamic Community Center of Tempe, AZ since March, 1998. Imam Ahmad is a member of Tempe Interfaith council (TEAM), CORA (Council of Religious Advisers for Arizona State University), and one of the founders of "Interfaith Resolutions", and "Tempe Interfaith Library".



الفهرس

مقدمة:	٤
المبحث الأول: معوقات مردها إلى المسجد أو المركز الإسلامي كمؤسسة، وسبل التعامل معها	٩
المبحث الثاني: معوقات مردها إلى رواد المساجد والمراكز الإسلامية	١٣
أولاً: معوقات مردها إلى الجالية، ومنها:	١٣
ثانياً: معوقات مردها الإمام، وكيفية التعامل معها؟	١٩
ثالثاً: معوقات مشتركة بين الجالية والإدارة، منها:	٢١
رابعاً: معوقات مشتركة بين الإمام والإدارة:	٢٣
خامساً: معوقات مشتركة بين الجالية والإدارة والإمام، وهي غياب القدوة الحسنة:	٢٥
المبحث الثالث: العقبات الناتجة عن وجود المسجد أو المركز الإسلامي في بلد غربي ذي أغلبية غير مسلمة	٢٦
○ ضعف الإمكانيات المادية،	٢٦
○ انخفاض نسبة رواد المساجد والمراكز الإسلامية:	٢٧
○ غياب القيادة الموحدة،	٢٧
○ ضعف "فقه الواقع":	٢٩
○ الواقع السياسي والأمني،	٣١
○ التقوقع على النفس:	٣٢
خلاصة وتوصيات	٣٥
المراجع	٣٦

مقدمة:

كُتب الكثير في تاريخ أو واقع المسلمين كأقلية في بلاد الغرب، وبلغات عديدة. ويكاد يجمع الكاتبون على وجود معوقات وتحديات تواجه الإسلام والمسلمين في الغرب، والتنبيه على سبل التغلب عليها. فالأقلية المسلمة تتأثر، كأي أقلية أخرى، بظروف البلد وظروف الأغلبية التي تعيش وسطها، أضف إلى ذلك تأثر المهاجرين من أبنائها بما يحدث في بلادهم الأم التي هاجروا منها. وسواء العقبات أو سبل مواجهتها، فإن منها الثابت ومنها المتغير بمرور الزمن واختلاف الظروف، ومنها العام الذي يواجه المسلمين في الغرب كافة، ومنها الخاص الذي يواجه فئة منهم أكثر من الأخرى. فالعقبات التي كانت تواجه الإسلام والمسلمين في الغرب في عقد الستينات مثلاً ليست هي بعينها التي تواجههم اليوم، والعقبات التي تواجه المسلمين المهاجرين ليست هي عينها التي تواجه معتنقي الإسلام أو الأجيال اللاحقة من ذرياتهم، وهكذا. لقد كان الباحثون - مثلاً - قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر يذكرون من العقبات التي تواجه المسلمين في أمريكا أنهم ما زالوا "غير معروفين لأغلب الأميركيين"، وتوقع د. سليمان نيانج في مقاله الذي كتبه في عقد التسعينات أن "الأمريكيون سوف يتعلمون تدريجياً كيف يتعايشون مع المسلمين الأمريكيين ويقبلوهم"^(١)، وليس الأمر كذلك اليوم، فقد أصبح الإسلام والمسلمين على كل لسان في الغرب، لكن العقبة الكأداء هي الإنطباع السلبي عنهم، فقد أبرزت الدراسات الأخيرة ارتفاع نسبة الأميركيين الذين يحملون مشاعر سلبية عن الإسلام والمسلمين^(٢). أضف إلى ذلك احتمالية اختلاف العقبات أو الحلول من بلد غربي لآخر، بل ومن منطقة لأخرى في البلد الواحد. فالعقبات التي تواجه الجالية المسلمة في أوروبا ليست بالضرورة هي عينها التي تواجه الجالية المسلمة في أمريكا، وإن كان أغلبها مشتركاً. ثم إن زخم المعوقات التي تواجه مسلمي ولاية نيويورك أو أوكلاهوما ليست هي عينها التي تواجه مسلمي ولاية تكساس أو كاليفورنيا. ولا ننسى هنا التنبيه على أن العقبات التي تواجه العمل الدعوي في المراكز الإسلامية والمساجد قد تختلف النظرة إليها بين المسلمين أنفسهم، وذلك باختلاف المدرسة الفكرية أو الفقهية أو ثقافة الطائفة المسؤولة، كما أن بعض الجماعات الإسلامية اليوم قد ترى في بعضها البعض معوقاً من المعوقات. ومن المسلمين من يعتبر الخطاب السياسي والمشاركة السياسية في

(١) Nyang, Sulayman, "Islam in the United State of America", p. 7

(٢) http://www.bbc.co.uk/arabic/worldnews/2014/07/140729_usa_arabs_opinion

الغرب جزءاً من الحل، في حين يرى آخرون ذلك أحد المعوقات! ومثل ذلك يمكن أن يقال عن المذاهب الفقهية، حيث يرى البعض أن التزام مذهب بعينه جزء من الحل بينما يراه آخرون من المعوقات! ولا ننسى أن ثم تحديات عالمية، تواجه الإسلام كدين ونظام حياة، وتواجه المسلمين كأمة، أقلية كانوا أو أكثرية، وتواجه المساجد كمحضر ومنطلق للدعوة والرسالة، سواء في الشرق أو الغرب، كانخفاض نسبة أعداد المصلين والأئمة المؤهلين والعلماء العاملين مقارنة بأعداد المسلمين الإجمالية.

يمكن إرجاع تاريخ "العمل الدعوي" في الغرب إلى تاريخ الهجرات، سواء الإختيارية أو القصرية، لأعداد من الدعاة والمفكرين من بلاد المسلمين، وذلك جراء الاضطهاد الذي طاهمهم، وارتحال الكثير من الشباب المسلم للغرب طلباً للعلم، إضافة إلى المهاجرين من دول العالم الإسلامي الفقيرة بحثاً عن فرصة عيش أفضل. قال نيانغ في كتابه "Islam in the United States": "وما يُعدُّ بأنه مرحلة بناء المؤسسات الإسلامية في أمريكا بدأت بقدوم المسلمين للدراسة بعد الحرب العالمية الثانية وقرار الكثير منهم الاستقرار في أمريكا. المؤسسون الأوائل ل MSA و ISNA و ICNA وغيرها" في عقد الستينات من القرن الماضي. ثم وصف هؤلاء المسلمين بقوله: "الراغبون بالخروج من البوتقة الاجتماعية والسياسية لتثبيت إيمانهم وشعائهم في أماكن عملهم وفي جوانب الحياة العامة"^(١). ومعلوم أن وجود المسلمين في الغرب سابق لذلك بأزمان، لكنه كان وجوداً غير ذي فاعلية في إقامة شعائر الدين، فضلاً عن دعوة الناس إليه^(٢). كمحاولات الأمريكان السود، مثلاً، البحث عن جذور هويتهم الإسلامية، حيث قدّرت بعض الدراسات أن ٣٠٪ من العبيد الذين تم إحضارهم من أفريقيا منذ القرن السادس عشر كانوا مسلمين^(٣)، فتم

(١) Nyang, p. 18-19

وكتابه عبارة عن مجموعة مقالات له كتبت خلال سنوات عديدة، المقال الأول منها بعنوان:

"المسلمون في الولايات المتحدة: نظرة تاريخية".

(٢) انظر للتوسع في ذلك مقال د. مسعود صبري في "مجلة الوعي الكويتية" على هذا الرابط <http://www.alwaei.com/site/index.php?CID=729>

ومقال الدكتور سراج مفتي، "الجالية المسلمة في أمريكا الشمالية: آفاق وصعوبات"، باللغة الإنجليزية على هذا الرابط:

<http://www.muslimummah.org/articles/articles.php?itemno=106&&category=Islam%20in%20North%20America>، وكتاب

نيانغ ص ١٨-١٩، ويمكن للتوسع قراءة حياة محمد الكسندر كأول أمريكي أبيض يعتنق الإسلام في القرن التاسع عشر، على هذا الرابط:

http://theamericanmuslim.org/tam.php/features/articles/webb_mohammed_alexander_russell_in_memorium_1846_1916

(٣) هكذا النسبة في كتاب فريد نعمان ص ١٩، بينما ذكر نيانغ في كتابه ص ١٣ أنها ١٠٪.

تأسس "أمة الإسلام" أولاً على يد فرد محمد^(١)، ولم تكد تحمل من الإسلام إلا اسمه، ثم قام ابنه وارث الدين محمد - رحمه الله - بمحاولة التصحيح، الأمر الذي أدى إلى إنشقاق الجماعة، فتولى رئاسة "أمة الإسلام" لويس فرخان، وأسس وارث الدين جماعة "المجتمع الأمريكي المسلم" (ASM)، ومعظم الدعاة السود من الأمريكيين من أهل السنة اليوم إنما مرّوا بهذا التسلسل في رحلة البحث عن الدين الحق.

يمكن تعريف "العمل الدعوي في الغرب" بأنه الجهد المبذول من أئمة المسلمين في الغرب مع المسلمين وغير المسلمين بهدف التعريف بالإسلام والحث على الالتزام به.

ومعلوم أن "العمل الدعوي" من باب "السياسة الشرعية" القائمة على الإجتهد في "جلب المصالح ودرء المفاسد"، والمنطلقة من قاعدة أن "الأصل في الأشياء الإباحة حتى يرد ما يدل على المنع"، السائرة في ظلال ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾^(٢)، والتمسكة بقاعدة "ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"، معتبرة قاعدة سد الذرائع، وأن "الأمر بما آلتها"، وقاعدة "أعظم الخيرين وأقل الضررين". فالعمل الدعوي عماده "جهد البشر أنفسهم في حدود طاقتهم البشرية، وفي حدود الواقع المادي للحياة الإنسانية في كل البيئة، فقيام الدعوة الإسلامية إذا مرتبط بتجنيد جميع الوسائل والتقنيات الحاضرة والإمكانات المادية والبشرية الممكنة، وتجنيد الإمكانيات البشرية لا يأتي إلا بالتأهيل الكامل للدعاة، سواء التأهيل العام؛ من تثقيف رجال الدعوة ثقافة إسلامية واسعة، أو بالتأهيل الخاص المرتبط بإمام الدعاة بظروف البيئة الموجهة إليها الدعوة، ومعرفة النوعية المدعوة من حيث معرفة دينها ومذاهبها واتجاهاتها واهتماماتها وأهدافها، كما يتم ذلك بمعرفة المنهج الأمثل والأليق لكل موقف من المواقف"^(٣). وتجدر الإشارة هنا إلى المنهج المتكامل لتأهيل الدعاة للعمل الدعوي في الغرب والذي وضعه الدكتور هشام الطالب بعنوان "دليل التدريب القيادي" فينبغي أن يعتمد وأن يوضع موضع التنفيذ. إنه لمن المحزن حقاً أن نرى قائمة التحديات التي تواجه العمل الدعوي في الغرب، والتي تطرق إليها الكتاب، ما زالت قائمة بعينها: ندرة أدب الخلاف،

(١) P.20 Fareed H. Nu'man, "The Muslim population in the United States", 1992, 1st edition.

(٢) سورة التغابن: ١٦.

(٣) "معوقات الدعوة الإسلامية في الغرب"، فيروز صوالحي، بحث لرسالة الماجستير، على الرابط التالي:

<http://www.chihab.net/modules.php?name=News&file=article&sid=845>.

الخلط بين الوسائل والغايات، ضعف روح العمل الجماعي، الإفراط والتفريط في تكييف الواقع، إهمال وسائل الإعلام، غياب الثقة والتنسيق والحوار بين الجماعات الإسلامية، عدم ترتيب الأولويات، وغياب التخطيط، وغير ذلك مما سيأتي ذكره في مكانه من البحث، مع أن الكتاب صدر بطبعته الإنجليزية سنة ١٩٩١م ثم تبعها خلال سنوات طباعته بسبع لغات أخرى!

والحديث عن "العمل الدعوي" في الغرب يتطلب منا أولاً تعداد مقومات هذا العمل الدعوي، والتي تتمثل بالمؤسسات القائمة على هذا العمل، والقائمين على هذه المؤسسات، إنشاءً وتبرعاً وإدارةً وانتماءً، بل ووجوداً، سواء حضوراً لبرامجها، أو استفادةً من خدماتها، أو كانوا هم المقصودين بالخطاب والعمل الدعوي، وواقع البلد الذي توجد به تلك المؤسسات، ثم يأتي الحديث عن معوقات العمل الدعوي وسبل مواجهتها.

أما بالنسبة للمؤسسات القائمة على العمل الدعوي في الغرب، فأهمها المساجد والمراكز الإسلامية، ومرافق هذه المساجد والمراكز من مدارس إسلامية، وكذلك المؤسسات الإعلامية من جرائد ومجلات ومرئيات ومسموعات، الكترونية كانت أو تقليدية، والمؤسسات المتخصصة في الدفاع عن الإسلام وحقوق المسلمين، والمؤسسات الإغاثية، ومؤسسات الخدمات الاجتماعية. والقائمون على هذه المؤسسات هم المنشؤون لها، والمتبرعون لعمارتها، والعاملون على إدارتها وما تقدمه من برامج وخدمات، سواء من الموظفين أو المتطوعين، أو المستفيدين من خدماتها، معتبرين إمكاناتهم وخبراتهم في هذا الباب. أما المقصودون بالخطاب والعمل الدعوي فهم المسلمون، سواء منهم الملتزم بدينه والمواظب على حضور الصلوات وبرامج المسجد أو المركز، أو المسلم غير الملتزم، وكذلك غير المسلمين، سواء كانوا مجاورين للمسجد أو المركز الإسلامي، أو زائرين له. وكذلك واقع البلد الذي توجد به هذه المؤسسات، سواء في ذلك قوانين ذلك البلد، أو ظروفه الأمنية والسياسية، أو تركيبته الاجتماعية.

وهذا البحث إنما هو محاولة لدراسة معوقات العمل الدعوي في المساجد والمراكز الإسلامية في الغرب، والتنبيه على السبل المرجو من خلالها التغلب على تلك المعوقات. وسيكون ذلك -بعون الله- في ضوء النقاط الثلاث السابقة، وهي: معوقات مردها إلى طريقة تصميم بناء المسجد أو المركز الإسلامي كمؤسسة. ومعوقات مردها إلى القائمين على المسجد أو المركز الإسلامي، إدارةً وإماماً وجماليةً. وأخيراً معوقات مردها إلى البلد الذي يوجد به المسجد أو المركز الإسلامي. وسبل مواجهة هذه المعوقات. وهذا

التقسيم اعتباري لإجراءات البحث، إذ أن هذه المعوقات مترابطة ومتداخلة مع بعضها البعض، وكذلك الحال في كثير من السبل المقترحة للتغلب عليها.

وقد وقفت على العديد من الكتابات في هذا الباب وأفدت منها، كما سيأتي بيانه في موضعه من البحث، وكما تراها في قائمة المراجع في نهاية البحث. وقد جعلت هذه الدراسة في ثلاثة مباحث رئيسة، مع مقدمة وخاتمة. فتطرق في المقدمة لتعريف الموضوع والتمهيد له. أما المبحث الأول فخصصته لمعوقات العمل الدعوي المتعلقة بالمسجد أو المركز الإسلامي كمؤسسة قائمة في بناء ذي مرافق، وكيف أن بعض المعوقات مردها لكيفية تصميم وبناء هذه المؤسسة، مع اقتراح تصميم يضم من المرافق ما يجعل المؤسسة أقدر على مواجهة هذه المعوقات والتغلب عليها. وتطرق في المبحث الثاني للمعوقات المتعلقة بإدارات المساجد والمركز الإسلامية والعاملين فيها، من إمام وأمير وموظفين ولجان ومتبرعين ورواد، واقترحت من السبل ما أحسبه كفيلاً بزيادة الفعالية في مواجهة هذه المعوقات. أما المبحث الثالث والأخير فتناولت فيه العقبات الناتجة عن وجود المسجد أو المركز الإسلامي في بلد غربي ذي أغلبية غير المسلمة. وذكرت في الخاتمة خلاصة البحث ونتائجه وتوصياته. والله أسأل أن ينفعني والدعاة إلى الله بهذا البحث.

المبحث الأول

معوقات مردها إلى المسجد أو المركز الإسلامي كمؤسسة، وسبل التعامل معها

والمراد هنا طريقة تصميم وبناء المسجد أو المركز الإسلامي في الغرب كمؤسسة وظيفتها أن تكون موئل "العمل الدعوي" ومنطلقه. فقد بُنيت معظم المساجد في بلاد الغرب بالتصميم ذاته الذي بنيت عليه المساجد في الدول العربية والإسلامية، حيث إن أول وأكثر ما تهتم به لجان إعمار المساجد إنما هو مصلى الرجال لصلاة الجمعة، مع ملحق لمصلى النساء، قد يكون تسوية أو سدّة، وأماكن للوضوء. والذي لا يكاد ينساه القائمون على عمارة هذه المساجد إنما هو إنفاق الأموال في زخرفة البناء من الداخل والخارج، وبناء القبة والمئذنة.

إن الأنموذج القدوة هو المسجد الذي بناه رسول الله ﷺ، سواء في ذلك هيكله وتصميم البناء أو الوظيفة والأداء. فالأصل في المسجد أو المركز الإسلامي أنه وقف لله تعالى، فينبغي أن يؤسس على التقوى من أول يوم، فلا يؤسس لخدمة جنسية أو وطنية أو ثقافة أو لون أو مصلحة أحد أو جهة ما، ولا أولوية لأحد فيه إلا بما توجهه هذه التقوى. وقد بنى الرسول ﷺ مسجده بلا زخرفة ولا مئذنة ولا قبة، وإنما كان مسجده نموذجاً في بساطة البناء وفعالية الوظيفة والأداء. فقد كان فراشه التراب والحصى حتى قال ﷺ: «من مسّ الحصى فقد لغا»^(١)، وجدرانه لبناً مطيئناً، وسقفه من الجريد والخصاف جعلوا فوقه طيناً. ولم يكن له أبواب أول الأمر، حتى كانت الكلاب تمرّ فيه، بل كان من أحكام الصلاة فيه أن "البزاق في المسجد خطيئة، وكفارتها دفنها"^(٢). أما من ناحية الوظيفة والأداء، فقد كان المسلمون، بالإضافة للصلاة والإعتكاف والذكر، يأكلون فيه وينامون، ويجلسون فيه ويتحدثون، ويذكرون أيام الجاهلية ويضحكون، ويُنشد فيه الشعر، ويصلي فيه المتقون والمنافقون، والعالمون والجاهلون، والصغار والكبار، والرجال والنساء، والأغنياء والفقراء، ومن تفوح منه رائحة العطر ومن تفوح منه رائحة الكد والفقير، والسادة والعبيد، دون تمييز بين أحد منهم، ودون تنفير لجاهل أو مذنب، ولا حجر على امرأة أو صغير، حتى بال

(١) مسلم ٨٥٧.

(٢) متفق عليه من حديث أنس بن مالك، البخاري (٤١٥) ومسلم (٥٥٢).

فيه أعرابي^(١)، وتكلم أثناء الصلاة فيه من لم يفقه أحكامها^(٢)، وأمّ النبي ﷺ فيه المصلين صلاة فريضة وهو يحمل حفيدته أمانة، وبكى صبيُّ أثناء الصلاة فتجوّز النبي فيها رحمة به وبأّمه، وحضرت فيه النساء الخطب والصلوات مع الرجال، حتى قالت أم هشام بنت حارثة: "ما حفظت ق إلا من في رسول الله ﷺ يخطب بها كل جمعة"^(٣)، وسألت النساء فيه النبي ﷺ عن أمور دينهنّ، وطالبن بمزيد من الحقوق، حتى استحقت امرأة منهن لقب "خطيبة النساء"^(٤)، وذلك بحضرة الرّجال، فلم يمه ولم يزبر، وإنما استمع والصحابة وأنصتوا، بل وأثنى على المتكلمة بحضرة الرجال وعلم، ووهبت فيه امرأة نفسها للنبيّ فزوجها فيه من أحد الصحابة الحضور بعد أن نظر إليها فيه ثم طأطأ رأسه. وكان مسجده مأوى من لا مأوى له من الفقراء والعزّاب والوافدين من الغرباء، فقد جالس النبي ﷺ فيه أهل الصفة وواساهم وعلمهم وأثنى عليهم، وربط فيه الأسير المشرك أياماً، وعُلقت فيه قطوف الرطب صدقة، ونامت فيه امرأة سوداء كانت تقمّ المسجد حتى ماتت فأكرمها بالصلاة على قبرها بعد أن عاتبهم إذ لم يُعلموه بوفاتها^(٥). وزوّج فيه النبي ﷺ وطلّق، وقضى فيه وأصلح بين الناس، وسيرّ منه الرايات، وروى فيه للناس أخبارها، وحثّ فيه على الصدقة وجمعها فيه، وغير ذلك كثير من شؤون الدين والدنيا. وهذه أمور معلومة لاداعي للإطالة بالإستدلال عليها. وإنما نهى عن إنشاد الضالة فيه أو البيع والشراء. لقد كان المسجد في عهد النبي ﷺ بحق مركزاً لتفاعلات حياة المسلمين اليومية، الدينية منها والاجتماعية والسياسية.

والمراد هنا أن مساجد المسلمين اليوم، حتى الثلاثة التي تُشد إليها الرحال، ليست من السنة في كبير شيء، لا في بنائها ولا في أدائها، بل الأمر في كثير منها يشبه أن يكون منكوساً، فهي اليوم كثيرة الزخرفة، فاخرة في بنائها، متخلفة في أدائها. ومعوقات الدعوة المتعلقة بالمسجد هذه الأيام هي عينها التي خالفنا فيها هدي رسول الله ﷺ في مسجده: الإهتمام الزائد بهيكله البناء وزخرفته المتدعة والموروثة من الشرق، والغفلة عن وظيفته، رغم تغيّر الظرف وأوضاع المجتمع، ورغم اختلاف الأولويات! إن هيكله وتصميم بناء المسجد وسيلة

(١) البخاري ٦١٢٨.

(٢) مسلم ٥٣٧.

(٣) "صحيح مسلم" (٨٧٣).

(٤) هي أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية، وحديثها حسن بشواهد: أخرجه البزار (١٤٧٤) من حديث ابن عباس، والبيهقي في "الشعب" (٨٣٦٩) من حديثها، وابن أبي الدنيا في "النفقة على العيال" (٥٢٨) من حديث جابر.

(٥) البخاري ٤٦٠ ومسلم ٩٥٦.

مطلوب منها أن تكون عوناً لتحقيق أهدافه، لا أن تكون عائقاً أمامها! إن البرامج الدعوية الخاصة بالنساء والأطفال وجيل الشباب والمسلمين الجدد هي التحدي الذي ما زالت مساجدنا لا تعطيه الأولوية اللازمة، هذا فضلاً عن البرامج الخاصة بغير المسلمين من المجاورين أو الزائرين!

فأول ما يجب على أرباب العمل الدعوي في الغرب تداركه هو التمييز بين الغايات والوسائل، فلا نسمح لهيكله وتصميم البناء أن تقف عائقاً أمام وظيفة المسجد وأهدافه الجوهرية المرجو من المسجد أو المركز الإسلامي أداءها، وفي الطرف الذي نعيشه اليوم كمسلمين هنا، اعتباراً للزمان وللمكان، حيث إن المسجد أو المركز الإسلامي أشبه بواحة وسط الصحراء، عليه تقع مسؤولية بناء وحفظ الهوية الإسلامية لجميع أفراد العائلة من المسلمين، ومنه ينطلق العمل الدعوي، وفيه يتم. وفي ظل هذه الوظيفة المرتقبة ينبغي لتصميم وبناء المسجد أو المركز الإسلامي، وفي بلاد الغرب خاصة، أن يحوي من المرافق ما يعين على أداء كل هذه الوظائف، وما يكون عوناً على إفادة جميع المدعوين. ونحمد الله أن بدأ بعض العقلاء بالتنبه لذلك، والأمر إلى خير إن شاء. وأحسب أن أخذ الإقتراحات التالية بعين الاعتبار سيكون فيه خير كثير إن شاء الله تعالى:

- الحرص على أن الإستثمار في مساحة الأرض ابتداءً، لتكون كافية للتوسعة مستقبلاً.
- وأن يكون موقف السيارات متناسباً مع حاجة المصلين، حتى لا تفوتهم الخطبة، أو معظمها أحياناً، وهم يبحثون عن موقف، وحتى لا يغلقوا المواقع الخاصة بجيران المسجد فيسيئوا للإسلام.
- وأن يكون في المسجد مكاتب، منها ما يخص الإدارة، ومنها للإمام، وأن تكون مجهزة بالأدوات اللازمة لتلبية حاجات الجالية، أو للخلوة بالإمام واستشارته واستفتائه.
- وأن يكون في المسجد كفايته من الموظفين، ممن يجيب هاتف المضطر إذا اتصل، ويردّ على الرسائل، ويعدل الموقع الإلكتروني باستمرار، ومن هو مسؤول عن مراسلات المسجد أو المركز، الإلكتروني منها والتقليدية.
- وأن يكون فيه قاعات للتدريس والنشاطات الثقافية من دورات تأهيلية وورشات عمل، ونشاطات اجتماعية ورياضية وترفيهية للصغار والكبار، وللرجال والنساء، وحضانة للصغار، بدل أن يكون الأولاد والبنات خارج المسجد، مهملين دون كبير فائدة لهم، أثناء استماع أولياء أمورهم للمحاضرة!

وقد أحسنت عدّة جاليات صنعاً بأن جعلت قاعة الصلاة بجانب قاعة الرياضة الواسعة، فما عليهم يوم الجمعة إلا فتح الحاجز وفرش قاعة تتسع لنحو ألف مصلي، ثم إغلاقها بعد صلاة الجمعة، فيتم الإقتصار على مصلي يكفي لنحو مئتي مصلي بينما تُستغل القاعة لنشاطات الناشئة الرياضية طيلة الأسبوع.

المبحث الثاني

معوقات مردّها إلى رواد المساجد والمراكز الإسلامية

وهذه المعوقات منها ما مردّه إلى الجالية، ومنها ما مردّه إلى الإدارة، ومنها ما مردّه إلى الإمام، ومنها ما هو مشترك بين الثلاثة معاً، أو بين اثنين منها:

أولاً: معوقات مردّها إلى الجالية، ومنها:

○ تنوع الجالية المسلمة في الغرب:

فالجالية المسلمة في الغرب هي الأقلية الأكثر تنوعاً بين الأقليات الأخرى، إذ هي خليط من جاليات متعدّدة المذهب العقدي والفكري والفقهية والعرفي. فهي جاليات في جالية، وأقليات يجمعها الدين لتكوّن معاً أقلية. والتجمع الوحيد الذي يمكن أن يشبّه به تنوع الجالية المسلمة في الغرب هو موسم الحج. وعلى عاتق هذه الأقلية تقع مسؤولية التعارف والتجانس فيما بينها، كما تقع على عاتقها مسؤولية إثبات وجودها ووهويتها في بلاد الغرب ذات الأغلبية غير المسلمة^(١). وهذا التنوع في الجالية المسلمة في الغرب منه ما قد يكون ميزة وعنصر قوّة - إن أحسن المسلمون فهمه والتعامل معه -، أو عنصر فرقة وعداوة كما هو الحال أحياناً. لقد أدّى تنوع الجالية المسلمة هذا في كثير من الأحيان لسيطرة الأغلبية، وبالتالي استئثارها بمصادر المسجد أو المركز، وإهمال الفئات الأخرى، أو التضييق عليها، الأمر الذي أدّى إلى تفاقم الخلافات والإنشاقات، حتى وصل الأمر أحياناً إلى وسائل الإعلام والمحاكم الغربية للقضاء بين إخوة الدين! الأمر الذي فرّق وحدة المسلمين، وقدم صورة سلبية عن الإسلام والمسلمين. وإن كان بعض هذا الخلاف مشروعاً، لكن أغلبه مما يمكن تلافيه بحسن الإدارة والتزام أدب الخلاف.

فتنوع المذهب العقدي يتمثل في وجود مساجد ومراكز إسلامية يغلب عليها أتباع عقيدة السلف، أو الأشاعرة، أو الأحباش، هذا إضافة لوجود غير أهل السنة من الفرق، كالشيعة والقاديانية. وتنوع المذهب الفكري، كوجود غلبة لأتباع الإسنا أو ماس أو التبليغ والدعوة، أو السلفية، أو الصوفية. وتنوع المذهب

(١) Nyang, Sulayman, "Islam in the United State of America", p. 7-8

الفقهي، كالمذاهب الفقهية الأربعة، وما ينجم عن ذلك من الحرج أحياناً بسبب الخلافات في الأحكام الفقهية بين هذه المذاهب، سواء في أحكام الطهارة، أو الصلاة، وخاصة عند الجمود على المذهب الواحد والتضييق على أتباع المذاهب الأخرى.

حدثنا الإمام محمد موسى من مدينة ديترويت أنه بلغه أن أحد المصلين ترك الصلاة خلفه! ولما سأل عن السبب أخبروه أنه بسبب مسحه، أي الإمام، على الجورين، حيث أن شروط المذهب الحنفي في الممسوح عليه لا تنطبق عليها. وقد أحسن الإمام إذ أبلغه بأن يعود وأنه لن يأثمهم ماسحاً على الجورين احتراماً لمذهبه، مع اقتناع الإمام وافتائه بجواز ذلك. وأعلم مسجداً وضع في دستوره أنه "مسجد حنفي"! مع أن المصلين فيه، والذين قاموا بتأسيسه بأموالهم وجهودهم، ليسوا كلهم كذلك! فكان الأولى بهم إدارة المسجد وإمامة المصلين بما يراعي المذاهب الفقهية المتبعة من الجالية ما أمكن، بدل إيقاعهم في الحرج الفقهي باعتقادهم بطلان الطهارة أو الصلاة.

إنّ التزام أدب الخلاف من شأنه أن يجنب المسلمين الكثير من الخلافات والإنشاقات، وكذلك فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واستيفائه شروطه الشرعية، بحيث لا يكون في الفروع الإجتهدية، وأن تكون درجة الإحتساب تابعة لدرجة المخالفة، وأن لا يترتب على الأمر والنهي مفسدة أعظم، وتوعية الجالية المسلمة إلى أهمية احترام اجتهاد الإمام المقيم من جهة، وانتباه الإمام إلى الإحتياط بمراعاة فوارق مذاهب المصلين قدر الإمكان، وحث الجميع على اعتماد فتاوى المجمعّات الفقهية المعاصرة، و"بلورة مواضع الإجماع، والتمييز الدقيق بينها وبين مجاري الإجتهد، حتى لا يؤدي اختلاط الأمور إلى ترخص في قطعي مجمع عليه، أو تهارج بسبب ظني مختلف فيه"^(١).

وتنوع ثقافة الجالية، حيث يغلب على المساجد والمراكز الإسلامية وجود مسلمين من بلدان شتى في المسجد أو المركز الواحد، وبالتالي تفاعل عادات وتقاليد مختلفة^(٢). والتنوع الثقافي هذا سلاح ذو حدين، إذ قد يكون فضيلة، كما كان في الصحابة بلال الحبشي، وصهيب الرومي، وسلمان الفارسي. وقد

(١) انظر الصاوي، صلاح، "الثواب والمتغيرات"، ص ٣١ و ص ٤٠-٤٢ و ص ٨٢.

(٢) أظهرت الدراسة التي أعدتها مؤسسة "كير" (ص ٣) أن ٧٪ فقط من المساجد في أمريكا روادها ينتمون لطائفة عرقية واحدة.

يكون تعدد ثقافات الجالية سبب خلاف وانشقاق، خاصة وكثير من المسلمين اليوم لا يحسن التفريق بين ما هو من الدين وما هو من الموروث، فغلب التقليد والمألوف على السنة والدليل.

وتنوع الجالية العمري، فترى في المسجد أو المركز الإسلامي الواحد الأطفال، والشباب، وأولياء الأمور، وكبار السن، ولكل فئة حاجات وظروف مختلفة عن حاجات وظروف الفئة العمرية الأخرى. وكثير مما يرغب به جيل الآباء هو عينه ما ينفر منه جيل الأبناء. وما قد يستقطب جيل الأبناء للمسجد قد يكون هو عينه ما ينفر منه وينتقده جيل الآباء. ومن عجيب هذا الباب أن يتم إهمال جيل الأبناء بسبب سيطرة جيل الآباء وإنشغالهم، وانشغال الإمام وإدارة المسجد مع جيل الآباء وبهم! بالإرضاء الثقافي دون الخطاب الدعوي، مهملين توعية أبنائهم وأنفسهم للمخاطر التي تواجههم في الغرب، كما هو الحال في كثير من المساجد. فأغلب الشباب اليوم لا ينسجمون مع برامج المساجد، وأغلب الأئمة ولجان الإدارة من المهاجرين العاملين في الغرب قليلو الفعالية في مخاطبة وفهم جيل الأبناء، وذلك بسبب عدم طلاقة لسانهم بلغة البلد، وقصور خبرتهم بالواقع الذي يعيشه جيل الأبناء، فلا تعالج برامجهم وخطبهم التحديات التي يواجهها هذا الجيل.

وسبيل التغلب على هذا الواقع المؤلم إنما هو باهتمام الأئمة بإتقان لغة البلد، واهتمام إدارات المساجد بجيل الأبناء من خلال برامج قادرة على استقطابهم ومخاطبتهم بما يناسبهم، ولو باستضافة متحدثين متخصصين، وكذلك الحرص على تعيين مسؤول مؤهل للناشئة يكون مساعداً للإمام في هذا الميدان.

والتنوع السلوكي ومستوى الالتزام، فتجد في المسجد من هو مبتدئ وحديث عهد بالإسلام أو بالالتزام، ومن هو بين بين، فلا يلتزم الالتزام المطلوب بأحكام الإسلام سلوكاً ومظهراً، كوجود من يلبس حلقاً في الأذن أو يضع إسوارة في اليد أو سلسلة في العنق من الذكور، أو من يظهر على أجزاء من جسمه وشم، ومن لباسهم لا يستكمل المواصفات الشرعية سواء من الذكور أو الإناث، ومن تظهر

زينتها، ومن لا يلتزم الحلال في كسبه أو تعامله، بل ومن يعلم تردده على أماكن الشبهات والمحرمات، وأشباه ذلك.

والصبر على أمثال هؤلاء المقصرين، وتقوية الإيمان في نفوسهم هو الطريق الأمثل، وذلك إعمالاً لقاعدة أخف الضررين وأعظم الخيرين. إن تأنيب أمثال هؤلاء وتنفيرهم من المسجد عون للشيطان عليهم، فالمسجد أو المركز الإسلامي في الغرب أشبه ما يكون بالمشفى، حيث "الدعاة" هم الأصحاء من الأطباء والمرضين الذين يتعاملون مع كافة أنواع الحالات المرضية، ومنها الحرجة التي تواجه خطر الموت. إن توصية رواد المسجد الدائمين من الملتزمين بحسن التعامل مع المبتدئين والمقصرين، والحرص على التعارف وتحسس ظروف المخاطب قبل البدء بالتصحيح، والحرص على الدعوة بالقدوة الحسنة قبل الكلمة هو الطريق. قال شيخنا الدكتور الصاوي^(١): "والذي نراه يصلح لحال الأمة في زمن ضعفها وانكسارها هو التآلف والمداراة وليس التصلب والمجافة". فتجنب الإنكار في المسائل الاجتهادية، واعتبار المآل والتحقق من غلبة المصلحة هو السبيل^(٢)، فالهجر إنما شرع لغاية، وهي زجر المبتدع، فإن أدى إلى تحقيق هذه الغاية كان مشروعاً، وإن غلب على الظن عدم تحقيق المصلحة "يكون التأليف في هذه الحالة أنفع من الهجر"، فقد "كان النبي يتألف قوماً ويهجر آخرين"^(٣).

وفي سنة النبي ﷺ ما يستدل به لذلك، فقد كان في مسجده من هو شر من هؤلاء، أعني المنافقين، وكانت سياسته معاملتهم بما يُظهرون، وقال ﷺ للصحابة: "إنما بعثتم ميسرين ولم يتبعثوا معسرين" لما هموا بالأعربي الذي بال في مسجده مرة^(٤)، وتكلم معاوية بن الحكم السلمي في صلاته فعلمه ﷺ

(١) "الثواب والمتغيرات" ص ٢٨.

(٢) المرجع السابق ص ٥٢.

(٣) المرجع السابق ص ٤٣.

(٤) أخرجه البخاري (٦١٢٨) من حديث أبي هريرة.

بالحسنى ولم ينهره أو يؤذبه^(١)، والأمثلة على ذلك كثيرة معلومة. ولا يُعلم أن النبي منع مسجده أحداً، ولا حتى من أقيم عليه حدّ في كبيرة، ولا منع مسجده الذي جاء بالإفك ولا من خاض به. ولا يظن أحد أن المراد هنا تصويب منهج من فرطوا حتى جعلوا التقصير وعدم الإلتزام هو النمط السائد، وبررّوه في أعين أهله حتى ظنوا أنهم على الجادة، وذمّوا الإلتزام وأهله. إنها الكلام في الترفق والصبر مع المؤلفة قلوبهم في زمن الضعف والغربة، والله أعلم.

○ ومن المعوّقات ضعف روح النظام والعمل الجماعي لدى الجالية المسلمة: خاصة المهاجرين منهم، وذلك بسبب الرواسب الكثيرة التي حملوها معهم من بلادهم الأم ولم يحسنوا التخلص منها. فالمشاريع الدعوية الناجحة في الغرب قائمة -في الأغلب- على جهد فرد نذر ووقته أو ماله للمشروع فأنجزه، وقلّ أن تجد مشروعاً ناجحاً هو نتاج عمل جماعي منظم، يؤدي كل عضو فيه دوره فتلتئم الأجزاء مكاملة بعضها البعض، مع أن المسلمين في الغرب يعيشون في بلاد أتقن سكانها العمل الجماعي والتزام كل عضو دوره الموكل إليه. وقد أحسن الدكتور هشام الطالب^(٢) بتشبيه الواقع في كثير من الأعمال الدعوية بلعبة شد الحبل، قال: "مسلمون مخلصون يعملون بجدّ بدون روح العمل ولا منهج تفكير، فيؤدي أفراد المجموعة الواحدة أعمالهم باتجاهات متعارضة، كلعبة شد الحبل، فتكون محصلة أعمالهم النهائية أقرب إلى الصفر!"

وسبيل التغلب على هذا المعوق أن ندرك بأن "نتاج العمل الجماعي أولى وأفضل من نتاج العمل الفردي"، ونشر "فقه المؤسسات بلغة وتصورات معاصرة مفهومة"^(٣)، وتكرار التذكرة بالتي هي أحسن، وتوعية الجالية لأهمية النظام والعمل الجماعي، والنصوص الشرعية في هذا الباب وافرة ومعلومة.

(١) أخرجه مسلم (٥٣٧) من حديثه.

(٢) "التدريب القيادي" ص ٤٧.

(٣) "التدريب القيادي" ص ٣٣-٣٤.

○ ومن المعوقات الخلط بين الدين والثقافة، حيث غلبت العادات والتقاليد على الدين، ويغلب على أكثر المسلمين اليوم اتباع المألوف من عاداتهم وثقافتهم في فهم والتزام أحكام دينهم، أو على حدّ تعبير الأستاذ حمودة عبد العاطي -رحمه الله-: "البعض يعيش في أمريكا الشمالية ولكنهم ليسوا منها، فهم يتشبثون بتقاليد وقيم مشوّهة ويلبسونها بالإسلام. فهم يعزلون أنفسهم ويصرون على المفاهيم الخاطئة والإحباط والمرارة. وبالإضافة إلى ذلك كثير من المسلمين في شمال أمريكا ليس لديهم الحزم الكافي للتمييز بين الإسلام الحقيقي وما هو غريب عنه، أو لتحرير الإسلام من الإضافات التي شوّهته. فهم غير قادرين على الاستفادة من القوى البناءة الجيدة في المجتمع الأميركي"^(١). فأصبح المسلمون أنفسهم معوقاً للدعوة من خلال خلط الإسلام بعاداتهم وثقافتهم وتقديمها على أنها من الدين. ورحم الله محمد إقبال فقد أعلن الثورة على "الإسلام الغير منزل من الله"^(٢).

انظر مثلاً كيف تنفق الأموال في زخرفة المساجد بدل البرامج الدعوية؟ وانظر إلى الإهتمام بالسجاد ومظهر المسجد أكثر من أدائه رسالته؟ وكيف تمنع بعض النشاطات الدعوية في المسجد خشية الرائحة؟ ومحاولة إقصاء البعض الأطفال عن المساجد بحجة الإزعاج وكثرة الحركة! وغير ذلك من المظاهر التي يطول تعدادها.

أسلم في مسجداً يوماً شاب أمريكي ذو شعر طويل مسبل، فإذا به بعد أيام يريد حلاقة شعره بسبب أن أحد المصلين أخبره أنه الآن مسلم ولا يجوز له أن يبقى شعره طويلاً كشعور النساء! والقصص في هذا الباب كثيرة!

○ غلبة الرفاهية والترهل على كثير من المسلمين، خاصة جيل الأبناء، وهو حال كل من عاش حياة الرخاء، سواء في الشرق أو في الغرب. ومن مظاهر الرفاهية التي قد تعتبر من معوقات الدعوة: الإسراف في

(١) Prof.Hammudah Abd-al Ati, "Establishment of Islamic Communities", p.12 .

(٢) نقلاً عن مقال جودت سعيد على صفحته الإلكترونية:

http://jawdatsaid.net/index.php?title=%D9%85%D9%81%D8%A7%D9%87%D9%8A%D9%85_%D9%81%D9%8A_%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%85%D9%84_%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8A

الكهاليات من الطعام والشراب والألعاب والرحلات والإجازات، وإنفاق الأموال الطائلة عليها، والتنافس فيها، مع قلة من يلتزم الجادة والحزم في هذا الباب. فما يقضيه جيل الأبناء من الساعات في المقاهي والألعاب ومشاهدة الأفلام أكثر مما يقضيه في المساجد، وأعني هنا الملتزمين المصلين منهم، أما غير الملتزمين فحالمهم مع الخمور والمخدرات والعلاقات غير الشرعية مخزن. بل وأصبح معيار نجاح البرنامج والإقبال عليه مقدار ما فيه من الدعابة، وإن كانت قول غير الحق!

ثانياً: معوقات مردها الإمام، وكيفية التعامل معها؟

وأستبق ذكر هذه المعوقات بالتأكيد على أن اهتمام الإمام بتعلم وتطوير المهارات اللازمة لعمله اليوم في بلاد الغرب هو السبيل الأنجع للتغلب على هذه المعوقات، ومن أبرز هذه المعوقات:

- القصور في الجمع بين العلم الشرعي والخبرة في الواقع المعاش: فكثير من أئمة المسلمين في الغرب اليوم إما إمام مهاجر أتقن النص ولم يخبر الواقع، وإما إمام محلي خبر الواقع ولم يتقن النص. مع أن كلاهما مهم في نجاح العمل الدعوي. قال ابن القيم -رحمه الله-^(١): "ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم، أحدهما: فهم الواقع والفقهاء فيه، واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات حتى يحيط به علماً.
- والنوع الثاني: فهم الواجب في الواقع، وهو حكم الله الذي حكم به في كتابه، وعلى لسان رسوله في هذا الواقع، ثم يطبق أحدهما على الآخر".
- القصور اللغوي، وذلك بعدم التمكن من اللغتين، العربية كلازمة لإتقان القرآن قراءة وفهماً، ولغة البلد التي يوجد فيها المسجد أو المركز الإسلامي، لتمام البيان الدعوي. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٢). روى

(١) "إعلام الموقعين" (١/٦٩-٧٠).

(٢) سورة إبراهيم: ٤.

الطبري في تفسيرها قول قتادة: "بلغة قومه ما كانت". وقوله تعالى ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ يدل على عظيم أثر اللغة في البيان، ومن ثم إقامة الحجة، ليرتب الحكم بالهداية أو الضلال، فتأمل. وقال رسول الله ﷺ: «لم يبعث الله عز وجل نبياً إلا بلغة قومه»^(١). فلا يحسن أن يكون من الأئمة المهاجرين إلى بلاد الغرب من يعمل فيها إماماً منذ ٢٠ سنة وما زال غير قادر على إلقاء موعظ أو إجابة سؤال بلغة ذلك البلد!

- تشعب عمل الإمام: فبالإضافة لعمل الإمام المعهود، من صلاة وخطابة ومواعظ ودروس، يجد الإمام نفسه أمام العديد من الواجبات، والتي يتطلب النجاح فيها خبرة وتخصصاً، كالإستشارات العائلية، ومسائل الزواج والطلاق، لأفراد وعائلات من بلدان وثقافات شتى، ومهمة التعامل مع الرجال والنساء، ومع كافة الأعمار، وحوار الأديان، والتعامل مع وسائل الإعلام، وغير ذلك. أضف إلى تنوع الجالية التي يتعامل معها الإمام -كما تقدم-، الأمر الذي يستدعي إمام الشرعي بالمذاهب الفقهية والفكرية المتعددة، وكذلك ثقافات وعادات الجالية المتنوعة، لنجاح عمله.
- قلة الإمام بالتكنولوجيا: في عصر وبلاد التكنولوجيا (digital age) والتواصل الإجتماعي (social media age). خاصة وأن تكنولوجيا اليوم، من أفلام وألعاب ومجلات وفيديوهات ويوتيوب وفيسبوك...، تروج نمط حياة (life style) له تأثير عقلي وأخلاقي وسلوكي وثقافي وروحاني، خاصة على الناشئة، فما لم يكن عند الإمام بعض إلمام بهذا الباب فإنه على الأغلب لن يستطيع طرق الموضوع أو علاجه. ثم إن إستعمال الإمام بعض المهارات التكنولوجية المعاصرة من شأنه أن يسهل عمل الإمام ويزيد من الإفادة من علمه والإقبال عليه. التقيت إماماً له صفحة على الفيسبوك وعنده فيها ٧٥ ألف تابع! فيا لها من وسيلة دعوة.

(١) رواه أحمد، وصححه الألباني. "صحيح الجامع"، رقم 5197.

ثالثاً: معوقات مشتركة بين الجالية والإدارة، منها:

○ تحكم أصحاب النفوذ: وهذا النفوذ منه الديني، كالنفوذ العقدي أو الفكري أو الفقهي أو الثقافي أو المالي، كنفوذ أتباع جماعة من الجماعات الإسلامية العاملة. وقد يؤدي هذا التحكم إلى عدم ارتياح الرواد ذوي الإنتهات الأخرى مع سياسات وبرامج ذلك المسجد أو المركز، الأمر الذي يؤدي بدوره إلى قلة تفاعلهم وقلة استفادتهم من تلك البرامج، بل وقلة وحضورهم. وقد أدى هذا الأمر، في بعض الأحيان، إلى وجود مساجد متجاورة، بينها مسافة تقل عن الميل واحد.

مثال ذلك مسجد في مدينة أمريكية، القائمون عليه من أتباع جماعة وارث الدين محمد، وكان هذا المسجد أول مسجد بُني في تلك المدينة، وهو ذو أرض ومساحة واسعة، وذلك قبل نحو ٣٠ سنة، وهو لليوم شبه مهجور، لا يفتح أبوابه للصلوات إلا أيام الجمع والأحد، وعدد المصلين فيه يوم الجمعة لا يتجاوز الأربعين، مع أن عدد المساجد والمراكز يبلغ في تلك المدينة الآن ٢٣ مسجداً، وكلها مفتوحة للصلوات اليومية، وعدد المصلين في يوم الجمعة في العديد منها مئات، وبعضها بحاجة للتوسعة بسبب الإزدياد المستمر في عدد المصلين. وقد اضطر المسلمون في تلك المنطقة من المدينة لتأسيس مسجد آخر بسبب رفض القائمين على هذا المسجد إعطاءهم نسخة من مفتاح المسجد ليتمكنوا من إقامة الصلوات اليومية جماعة!

ومثال النفوذ الفقهي منع مؤسسي أحد المساجد في مدينة أمريكية النساء من المسجد، وذلك اتباعاً لفتاوى متأخري الحنفية في بلده الأم بحرمة ذلك!

أما النفوذ الثقافي والعربي، كغلبة العرب أو الآسيويين على المسجد أو المركز، حيث يغلب على أصحاب ذلك النفوذ الترسل في تكييف برامج ونشاطات ذلك المسجد أو المركز مع ثقافتهم، سواء في ذلك لغة الخطاب وموضوعه، أو نوع الطعام المقدم، الأمر الذي يؤدي إلى عدم انسجام الأعراق والثقافات الأخرى، وبالتالي قلة المشاركة والحضور.

أما النفوذ المالي فأغلب حالاته في المساجد والمراكز الواقعة في المدن الصغيرة، وذلك بتبرع فرد أو عائلة بتكلفة إنشاء المسجد أو المركز، أو تكاليف إدراته، وأحياناً راتب إمامه. فتكون لهذا الشخص أو العائلة السيطرة والكلمة النافذة. ولا ضرر في ذلك إن كان صاحب النفوذ هذا صاحب أمانة وخبرة، وإنما المحذور هنا ترفع المتنفذ على النصيحة والمساءلة وانعدام الشفافية.

والحل هنا في التزام أدب الخلاف والحوار مع الآخر، ونحن المسلمين اليوم بحاجة ماسة لذلك. فلتتعبد كل طائفة الله تعالى بما تعتقد أنه الحق، ولتتعاون فيما اتفقنا عليه ولتتجاوز فيما اختلفنا فيه بالحسنى. فإذا كان الحق سبحانه قد أمر نبيه ﷺ بالمبادرة لخطاب أهل الكتاب بقوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾^(١)، أفلا يكون المسلمون أولى بأن يدعو بعضهم بعضاً لمثل ذلك، وإذا وجدت "الكلمة السواء" بين المسلمين وأهل الكتاب أفلا توجد بين طوائف المسلمين؟ متى نرى الحوار بين المسلمين قائماً بدل الهجران والفرقة؟ إن وحدة المسلمين صفقة رابحة ولو غلى ثمنها، وإن تفرقهم واقتتلهم صفقة خاسرة مهما كان مبررها^(٢).

○ قلة التنظيم وغلبة العشوائية: إن تعلم المسلمين الانضباط من خلال احترام التعليمات واللوائح، واحترام المسؤول ولو كان متطوعاً، وأدب الحوار والخلاف، من المهارات التي لا بد أن تصبح جزءاً من ممارسات المسلمين اليومية، جالية وإدارة:

فيما يتعلق بإدارة المساجد والمراكز، فقل أن تجد مسجداً أو مركزاً يعمل بنظام مؤسسي، بحيث يكون هناك من هو مسؤول عن صفحة الإنترنت وتحديثها بشكل روتيني، ومن يجيب الهاتف إذا اتصلت، ويتصل بك إن تركت رسالة صوتية، وإذا صليت عندهم الجمعة فهناك إرشادات لتنظيم المواقف والصلاة، فلا أحد يقف في مكان ممنوع الوقوف فيه، وأوراق المسجد أو المركز وحساباته منظمة،

(١) آل عمران: ٦٤.

(٢) انظر "الثواب والمتغيرات"، ص ٤١٧ وما بعد.

ودستوره متَّبَع، ولوائحه معمول بها،... الخ. ولعل من أسباب ذلك عدم وجود مرجع معتمد لكيفية إدارة المساجد والمراكز. فالباب مفتوح للإجتهاادات الفردية لإدارة كل مسجد أو مركز، والذين منهم المبتدئ وقليل الخبرة، ومنهم من أحسن عملاً ومنهم من لم يجر في أمره رشداً! ولا شك أن اعتماد مرجع واضح من شأنه أن يكون دليلاً للجلالية عند الإنتخاب أو التعيين أو الترشح لإدارة المسجد أو المركز، بحيث يفصل هذه المرجع المهام المطلوبة والمتوقعة من أعضاء الإدارة، وما هي الخبرات والمهارات المطلوبة لإيفاء ذلك المنصب حقه. فالغالب في كثير من المساجد أو المراكز اليوم الإعتماد على المتطوعين، وقلة الموظفين، فكلما خلفت لجنة أخرى أهملت ما أنجزته سالفتها، وبدأت من جديد، وربما في اتجاه غير الذي خطته من قبلها؟ فتركت كثير من المسائل مهمة، لا محسومة ولا تامة، الأمر الذي يعيق مسيرة المسجد أو المركز ويؤثر سلباً على أدائه رسالته. فمستوى نشاط المسجد أو المركز بين مدّ وجزر، وذلك حسب همّة أعضاء لجنة الإدارة، دون أن يكون هناك برامج وسياسات متفق عليها، يكمل فيها اللاحق ما بدأه السابق.

وفيما يتعلق بالجلالية: عدم الجدية في اتباع التعليمات واللوائح، حتى على مستوى موقف السيارة، أو وضع الحذاء في المكان المخصص عند دخول المسجد! وأحسب أن التنبيه المستمر، والإرشاد بالتي هي أحسن، من قبل موظفين أو متطوعين يحسنون التوجيه بالحسنى، هو السبيل.

رابعاً: معوقات مشتركة بين الإمام والإدارة:

إذ هم من يتولى أمور الجلالية، فنجاحهم نجاحها وضعفهم ضعفها، فالصفات والمهارات القيادية والإدارية عند الإمام وإدارة المسجد لها عظيم الأثر في قوة أو ضعف العمل الدعوي في المسجد أو المركز الإسلامي وجليته. ومن هذه المهارات:

○ مهارات التواصل مع الآخر: كالمبادرة بالسلام، والإعراض عن الجاهل، وإجابة الدعوة ولو على كراع شاة، وحسن الإستماع للمتحدّث، والغضب لله تعالى لا للنفس، وتأليف القلوب.

○ سد الذرائع واجتناب الشبهات، ومنها المتاجرة مع أفراد من الجالية، ثم الخلاف المالي معهم، وقبول الهدايا منهم، وأخذ القروض من الأغنياء، ونحو ذلك مما قد يفقد الهيبة والإحترام، بل وطلب الأجرة من أفراد الجالية مقابل الرقية الشرعية، وعدم الحيطة عند التعامل مع النساء. وقد حرّم الله على نبيّه -صلى الله عليه وآله الصدقة، وقال عليه وسلم للرجلين من الأنصار لما مرّ به وهو يياشي زوجته بعد أن زارته عشاءً وهو معتكف في المسجد: "على رسلكما، إنها هي صفيّة"^(١).

○ العدل والمساواة بين جميع أفراد الجالية، فلا ينبغي أن يكون في المساجد أو المراكز الإسلامية من أصبح إمامه أو مديره أو أميره هو الأمر الناهي، الذي بيده الصلاحيات كلها، ولا يقبل المساواة في ذلك من أحد! أو من يُقبل على فئة من الجالية دون أخرى! فمن كان إماماً أو أميراً فليكن لهم جميعاً على قدم المساواة، كما تفقد النبي عليه وسلم بالسؤال المرأة السوداء التي كانت تقمّ المسجد، وعاتب الصحابة إذ لم يؤذنوه بوفاتها، ثم أمّهم في الصلاة على قبرها والدعاء لها^(٢). بل حتى أصحاب الإحتياجات الخاصة، كما في "صحيح مسلم" من حديث أنس بن مالك أن امرأة كان في عقلها شيء. فقالت: يا رسول الله! إن لي إليك حاجة. فقال "يا أم فلان! انظري أي السكك شئت، حتى أقضي لك حاجتك". فخلا معها في بعض الطرق. حتى فرغت من حاجتها^(٣).

○ قلة التخطيط: فكثير من الإدارات والأئمة من يغلب على واقع عملهم مواجهة الأزمات، يوماً بيوم، والمكافحة لأجل البقاء وسدّ عجز الميزانية! والأولى بالإدارة والإمام العمل من خلال خطط سنوية واضحة، محدّدة الوجهة والأولويات والأهداف، ومفرغة في جدول زمني، وذلك للتمكن من مراجعة العمل وتقييمه من خلال المعلومات الواردة، ورصد الآثار الناتجة عن تبليغ الرسالة، والتوقف عن الخلط في مفهوم الأجر الإلهي لمجرد النية

(١) متفق عليه، البخاري (٢٠٣٥)، ومسلم (٢١٧٥).

(٢) متفق عليه، البخاري (٤٦٠)، ومسلم (٩٥٦).

(٣) "صحيح مسلم" (٢٣٢٦).

الخالصة وبذل الجهد وجعل ذلك مبرراً للزهد في النتيجة الدنيوية، "فليكن سعينا بهدف النجاح في الدنيا والآخرة"^(١).

خامساً: معوقات مشتركة بين الجالية والإدارة والإمام، وهي غياب القدوة الحسنة:
أو، كما سماها أحد الدعاة-: غياب نموذج "الصادق الأمين" من حياة المسلمين اليوم، إلا القليل. وقد أجمع الدعاة والمربون والإداريون على أهمية القدوة في نجاح العمل. قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(٢)، والمراد هنا فقدان النموذج العملي الذي ينبغي أن يقدم المسلمون في الغرب إسلامهم من خلاله. وما أعظمها فتنة أن يكون غير المسلم أصدق حديثاً من المسلم، وأوفى عهداً، وأحسن بيعاً وشراءً، وأكثر نظاماً. ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(٣).

(١) "التدريب القيادي" ص ٣٦.

(٢) الأحزاب: ٢١.

(٣) الممتحنة: ٥.

المبحث الثالث

العقبات الناتجة عن وجود المسجد أو المركز الإسلامي في بلد غربي ذي أغلبية غير مسلمة

وهذه المعوقات التي تواجه المسلمين في الغرب منها العام الذي يواجه شعوب المجتمعات الصناعية المعاصرة بغض النظر عن معتقداتهم، ومنها ما هو خاص تواجهه الأقلية المسلمة، كما نبه على ذلك الأستاذ حمودة عبد العاطي -رحمه الله-، حيث أشار إلى أن ما يواجهه المجتمع الأمريكي تواجهه أيضاً الأقلية المسلمة كذلك كونها جزء منه وتتأثر بأحواله، وبالإضافة لذلك فهناك العديد من الصعوبات الإضافية التي يواجهها المسلمون خاصة، بسبب كونهم أقلية، ولأنهم مختلفون عن المجتمع في أصولهم وأعراقهم ولغاتهم وألوانهم وثقافتهم وخلفياتهم وتنوعهم فيما بينهم^(١). ومن أبرز هذه المعوقات:

- **ضعف الإمكانيات المادية**، والتي هي ضرورة لتمويل المشاريع والبرامج الدعوية، والمدارس، ومساعدة المحتاجين، وتوفير المكان المناسب للبرامج، وتعيين الموظفين، بل وتعيين إمام للمسجد لتعليم الناس أمور الدين والدعوة. وقد كان من نتائج الدراسة التي قامت بها مؤسسة "كير" وغيرها سنة ٢٠٠٠م أن المساجد والمراكز الإسلامية عموماً قليلة الموظفين، فما نسبته ٥٥٪ منها بدون موظف متفرغ، و ١٠٪ منها فقط فيها أكثر من موظفين اثنين!^(٢) لا شك أن المسجد أو المركز الإسلامي القادر على توظيف إمام ومدير مكتب ومختص بشؤون الناشئة أقدر على "العمل الدعوي" من المسجد أو المركز المعتمد على أوقات فراغ المتطوعين.

(١) "Establishment of Islamic Communities" p.11 ,

(٢) "The Mosque In America", Ihsan Bagby, Ph.D. P.4 .

○ انخفاض نسبة رواد المساجد والمراكز الإسلامية:

بحيث قدرتها بعض الدراسات بنسبة ١٠٪ من عدد المسلمين في أمريكا^(١). وفي الإحصائية التي نشرتها مؤسسة "كير" سنة ٢٠٠٠ وجدت أن حوالي ٢ مليون من أصل ٦-٧ مليون مسلم في أمريكا لهم صلة بالمسجد أو المركز الإسلامي، أي حوالي ٣٠٪، مع التنبيه هنا على تلطف الدراسة باستخدام كلمة (associated)، وذلك لتشمل هذه المشاركة الذين يحضرون صلاة العيد مرة أو اثنتين بالسنة^(٢)، وليس هم من المواظبين على الصلوات اليومية أو صلاة الجمعة أسبوعياً، فتأمل! إن قلة المسلمين الملتزمين بأحكام الإسلام تشكل تحدياً دعوياً أمام الدعاة إلى الله تعالى، وتدعو إلى إعادة صيغة مفاهيم العمل الدعوي وإعادة ترتيب أولوياته. وما أحسن ما قرره شيخنا الصاوي في كتابه "الثواب والمتغيرات" في هذا الباب، فليراجع.

○ غياب القيادة الموحدة، وقلة التنسيق بين المساجد والمراكز الإسلامية، الأمر الذي هو من لوازم

نجاح العمل الدعوي. "فالمسلمون اليوم مقتنعون نظرياً بوحدة الأمة وعالمية الدعوة، ولكننا عملياً نعكس في سلوكنا توجهات وطبائع قبلية وإقليمية واضحة"^(٣). التنسيق الذي يمكن من خلاله: تحديد أولويات المسلمين في الغرب، ومصالحهم العامة، وحمايتهم، ودفع الظلم عنهم، وتقويم ما أنجزه المسلمون في الحقبة الماضية، ليتم تلافي الأخطاء وتحسن الأداء^(٤)، وتوفير برامج تأهيلية للإئمة وإدارات المساجد، وتقديم نماذج مقترحة لواجبات الإدارات والإئمة وحقوقهم، وصيغ مقترحة لدراسات المساجد. فلا تترك المساجد والمراكز الإسلامية تسبح وحداناً في محيط متلاطم الأمواج، وواقع مركب ومعقد. ومفتاح ذلك إنما هو أن يفقه الدعاة أنه "حتى تؤدي هذه الأقليات واجبها نحو نفسها

(١) Yvonne Haddad and Adair T. Lummis, "Islamic Values in the United State; A comparative Study", p.8

(٢) "The Mosque In America", Ihsan Bagby, Ph.D. P. ١٢.

(٣) "التدريب القيادي" ص ٣٥-٣٦.

(٤) انظر الغلاييني، موفق، "أنشطة المركز الإسلامية" ص (١٣).

ونحو دينها وأمتها فلا مناص من توحيدها وتنظيمها وجمع كلمتها"^(١)، فالأمر جدّ خطير. وكذلك الإلتزام بالتوجيهات النبوية في هذا الباب لجعل الاختلاف في الرأي والإجتهد رحمة وإغناء للحوار، بدل التفكك والتعنت والإتهام، وعدم نقل الاختلاف في الإجتهد لجعله فرقة في القلوب والمشاعر، وتهديداً للوحدة، ومبرراً للغيبة والنميمة^(٢)، وتفعيل الحوار الإسلامي بين المؤسسات والحركات الإسلامية للوصول إلى تصور مشترك للأصول الجامعة لأهل السنة والجماعة، وتنظيم العلاقة فيما بينهم، وكذلك تأصيل العلاقة مع غيرهم من الفرق الإسلامية، والأديان والتجمعات الأخرى. المسلمون اليوم بحاجة ماسّة إلى حوار فكري بين الجماعات الإسلامية من أهل السنة، وحوار ثانٍ مع الفرق الإسلامية الأخرى، وثالث مع التجمعات غير الإسلامية، سواء الدينية منها أو الإجتماعية أو العلمانية. إن هذه هي السبيل لاختبار النظريات النرجسية التي تحملها تجمعاتنا الصغيرة المغلقة على نفسها على أرض الواقع العملي الذي نعيشه اليوم^(٣). إن وجود القيادة الموحدة للتنسيق بين المسلمين في الغرب هي السبيل لوقف التميع الذي نشهده اليوم في كثير من الأحيان فيما هو من الإسلام وماليس منه، وكذلك الفوضى في ملكية بعض المساجد والمراكز الإسلامية، وحدود صلاحيات مجلس الأئمة أو بعض الأفراد في التصرف به بيعاً وشراءً وإدارة. إن وجود القيادة الموحدة للمسلمين هو السبيل لإيجاد جهة مخولة بتقنين الصلاحيات والمؤهلات، على نمط ما تفعله وزارات الأوقاف ودور الإفتاء في البلاد الإسلامية، فالواقع المحزن في الغرب اليوم أن من أراد أن يدعي أنه إمام كان له ذلك، بل ويمكنه، أو يمكنها، تقديم أنفسهم والإدعاء أنهم من يحمل الإسلام الحق وأنهم من يمثله، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها مؤلف كتاب "A battle for the soul of Islam; Muslim patriot's fight to save his faith" حيث يزعم أن الإسلام اليوم مرتين من

(١) "فقه النوازل للأقليات" (١/١٤).

(٢) انظر "التدريب القيادي" ص ٤٣-٤٤.

(٣) "التدريب القيادي" ص ٣٩.

المسلمين السياسيين المتعصبين الذين لا يمثلون حقيقة الإسلام، وأن ٨٠٪ من المساجد في أمريكا يسيطر عليها المتشددون الإسلاميون، وأن التهديد الأكبر للأمن العالمي اليوم إنما هو الإسلام السياسي! وأمثال هذا الشخص من الرجال والنساء في الغرب كثيرون، وهم من ينالون الحظ الأوفر من تسليط الضوء عليهم في الإعلام الغربي، ومن يزعمون ليل نهار أنهم هم المسلمون المعتدلون الذين يمثلون حقيقة الإسلام وروحه!

○ ضعف "فقه الواقع":

يكاد يجمع كل من وقفت على كتابته في الموضوع على أن ضعف "فقه الواقع" من العقبات التي تواجه المسلمين في الغرب. ولعل من أسباب ضعف فقه الواقع في الغرب ضعف الاجتهاد وغلبة التقليد في هذا الزمان عموماً، حيث يكاد يقتصر دور العلماء على تخريج المسائل على المذاهب الفقهية ومحاوله الموازنة والترجيح، وقلة العلماء وفقهاء الواقع في الغرب خصوصاً، والجمود على اختيارات وفتاوى فقهية تناسب بلاد المسلمين، دون اعتبار لواقع بلاد الغرب^(١). وكذلك الاختلاف في تكييف الواقع، و"رسم بعض المفكرين للغرب صورتين متناقضتين: فهو إما جنة وإما جهنم! والحقيقة أن الغرب ليس هذا ولا ذلك، وأن لديه خصائص إيجابية وأخرى سلبية، فيجب علينا أن نتحرى الإنصاف في جميع الأحوال"^(٢)، وهل بلاد الغرب "دار حرب"؟ أو "دار أهل كتاب"؟ فالفتوى بلا ريب ستختلف باختلاف هذا التكييف. فإذا كان تعريفنا للكفر بأنه كل ما سوى الإسلام، وأن أصل العلاقة مع الكفار هي الحرب وأن السلم استثناء^(٣)، فلا شك أن الفتاوى الصادرة عن علماء هذا

(١) كفتوى حرمة حضور النساء المساجد سافرات الوجوه. انظرها وغيرها في كتّيب "فتاوى المسلم المغترب". وفتاوى حرمة الدراسة في الجامعات المختلطة، وحرمة الإقامة في بلاد الغرب، وحمل جنسيتها، وحرمة المشاركة في الانتخابات. وانظر قصة الفتوى التي شهدها الدكتور مسعود صبري في مقاله <http://www.alwaei.com/site/index.php?CID=729>.

(٢) "التدريب القيادي" ص ٤٦.

(٣) انظر المذاهب في ذلك في "فقه الأقليات"، ص ٣٨.

مذهبهم سيكون لها منحى غير منحى من اعتبر من العلماء أن الأصل في العلاقة مع غير المسلمين هو السلم، وأن الحرب هي الإستثناء^(١).

ونحمد الله على أن الأمر إلى تحسن في هذا الباب، حيث أنشئت لجان الفتوى من العلماء الثقات في بلاد الغرب، وكتبت الأبحاث التي تعتنى بفقهاء الواقع. والأمر بحاجة إلى المزيد من التفعيل للمقاصد الكلية

(١) والذي أراه - والله أعلم - رأي من يرى أن بلاد الغرب ليست واحدة من هذه "الدور"، والتي اختلف علماءنا أصلاً في تعريفها عبر التاريخ. فقد عرف بعض علماء الشافعية "دار الإسلام" بأنها "التي يستطيع سكانها المسلمون أن يظهر فيها أحكام الإسلام"، وجمهور العلماء على أن "دار الإسلام هي التي تجري فيها أحكام الإسلام"، ومنهم من اعتبر بناء وصف الدار على الأمن والخوف، فإذا كان الأمان للمسلمين والخوف للكفار فهي دار إسلام، وإن كان العكس فهي دار كفر، (انظر "فقه الأقليات" ص ٤٨ وما بعد)، فكيف يستقيم اليوم تسمية كثير من بلاد المسلمين بأنها "دار إسلام" والدعاة فيها محاربون ومن ظلم طغاتها ببلاد الغرب مستجيرون. والمسلمون اليوم قادرون على حرية التعبد في بلاد الغرب أكثر من كثير من بلاد المسلمين، وكفى بذلك فتنة ولبساً. وإنما هي "دار حياء"، أو "دار دعوة" كما سماها البعض ("فقه الأقليات" ص ٤٦). والمراد بالحياد أنها دول أنشئت على مبدأ الحياد من الدين، لا تؤيده ولا تعارضه، وإنما تركت أمر الدين لكل إنسان ليقبل أو يرفض منه ما يشاء. فهي "دار علمانية" بالتعريف الغربي للعلمانية، وهو الحيادية من الدين، كائناً ما كان ذلك الدين، حتى النصرانية ذاتها. نعم معظم سكان بلاد الغرب نصارى، لكن القوانين ليست كذلك، فهي قوانين نابعة من خبرة المشرعين فيما يصلح للمجتمع، سارية على جميع السكان على حد سواء، بغض النظر عن الدين أو العرق. ثم إن تعديل، بل تغيير هذه القوانين عملية مستمرة، والباب مفتوح أمام المسلمين للمشاركة والعمل على تغيير هذه القوانين بما يروونه أقرب لمبادئ الإسلام وأصوله. فينبغي للمسلمين أن يتوقفوا عن النأي بأنفسهم عن الواقع بحجة أن الشريعة قانون رباني لا مدخل للبشر فيها وأن قوانين البشر أرضية لا مدخل للدين فيها، فمثل هذا التعميم لا يصح، وضرره أكثر من نفعه. فلينظر المسلمون في الغرب إلى قوانين البلاد التي يعيشون فيها بعين الإحترام والتقدير ومحاولة التعامل معها قدر الإستطاعة، إذ أن حقيقة التناقض بينها وبين مصادر التشريع الإسلامي محدودة. قال شيخنا العلامة مصطفى الزرقا في مقدمته لتحقيق كتاب والده أحمد الزرقا -رحمهما الله- "شرح القواعد الفقهية" ص ٩: "فهذه القواعد صيغ إجمالية عامة من قانون الشريعة الإسلامية، ومن جوامع الكلم المعبر عن الفكر الفقهي، استخرجها الفقهاء في مدى متطاوّل من دلائل النصوص الشرعية، وصاغوها بعبارات موجزة جزلة، وجرت مجرى الأمثال في شهرتها ودلائلها في عالم الفقه الإسلامي، بل في عالم القانون الوضعي أيضاً، فكثير منها تعبر عن مبادئ حقوقية معتبرة ومقررة لدى القانونيين أنفسهم، لأنها ثمرات فكري عدلي وعقلي، ذات قيمة ثابتة في ميزان التشريع والتعامل والحقوق والقضاء". وقد تواردت عبارات علمائنا على أن مدار المسائل الفقهية على قواعد خمس، هي:

- ١- أن اليقين لا يزول بالشك، ومن فروعها قاعدة استصحاب الأصل، ولزوم البينة على المدعي
- ٢- الضرر يزال، ويندرج تحتها قاعدة أخف الضررين، وشرع الزواجر والحدود
- ٣- المشقة تجلب التيسير
- ٤- العادة محكمة
- ٥- الأمور بمقاصدها.

وهذه القواعد الخمس الأصول تكاد تكون موجودة بعينها، أو أشباهها في معظم القوانين الوضعية.

لشريعة والقواعد الفقهية والأصولية التي تمس الحاجة إلى تعلمها وتعليمها لأئمة المسلمين وعامتهم في بلاد الغرب، وحسن استعمال "السياسة الشرعية" في حساب المكاسب والمخاسر، وحسن تصنيف الناس من المسلمين وغير المسلمين لمعرفة كيفية التعامل معهم^(١)، والتوقف عن الخلط بين الإيمان العقلي والذهني بكلية الرسالة، وبين التدرج في تطبيق تعاليمها في واقع الحياة، فالتطبيق التدريجي الهادئ أقرب إلى السنة، "فليكن جدول أعمالنا قصيراً وواضحاً ومختصراً، وبمجرد إنجازه يوضع جدول آخر مدروس"^(٢). فينبغي للمسلمين في الغرب اليوم الحرص على عدم الإنشغال بالقضايا التي "لا تمثل واقعاً معيشاً بالنسبة لهم، وإنما تمثل هموماً مهاجرة من الشرق ولا وجود لها خارج ديار الإسلام"^(٣). وحسن ترتيب الأولويات، والجمع بين العلم بالنص والخبرة بالواقع الغربي، والإهتمام بوحدة المسلمين وتأليف القلوب، معتبرين بخصائص القرآن المكي، لما كان المسلمون أقلية مؤمنة في مجتمع ذي أغلبية مشركة، حيث كانت معالم الدين هي توحيد الخالق والتزام مكارم الأخلاق.

○ الواقع السياسي والأمني،

خاصة بعد أحداث برجي التجارة العالمية وما تلا ذلك من مساءلات ومضايقات، الأمر الذي أدى لإحجام بعض المسلمين عن التبرع للمساجد والمراكز الإسلامية، بل وقلة التردد عليها، أو رفض الترشح لإدارتها، خشية التبعية القانونية والتهمة، وكذلك احجام الكثير من المؤسسات عن تناول قضايا تهم الجالية خشية المسؤولية. ولا ننسى حركة عداة اليمين المسيحي للإسلام والمسلمين المتصاعدة منذ تلك الأحداث وحتى تاريخ كتابة هذه السطور، "والتي تأخذ أشكال عنف متعددة، كالاعتداء المباشر على الأفراد والممتلكات، أو الإيعاز لأعضاء البرلمانات في البلدان الأوروبية بتغيير القوانين المتعلقة بالأجانب للحد من الهجرة"^(٤). كما بينت الدراسة التي قامت بها مؤسسة "كير" عن حركة التخويف من الإسلام (Islamophobia) أنها قد أنفقت ما يقارب ١٢٠ مليون دولار

(١) انظر "الثوابت والمتغيرات" ص ٤٥٢.

(٢) "التدريب القيادي" ص ٤٤.

(٣) انظر "موسوعة فتاوى المغتربين"، الدكتور صلاح الصاوي (١/٥).

(٤) انظر مقال عبد العاطي على صفحة قناة الجزيرة الإلكترونية "الأقليات المسلمة" على الرابط التالي:

<http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/fa45fbf5-7985-4462-b74e-b5fa1362b15b>

أمريكي في السنوات العشر الأخيرة^(١). ولعل من أسباب عداء اليمين المسيحي في الغرب للإسلام والمسلمين ما ترسخ في أذهان الغربيين لعقود طويلة من مفاهيم مغلوطة عن الإسلام. والحل أن ننطلق للعمل الدعوي من اعتبار أن الظروف الحالية، مهما كانت، هي أفضل ما هو متاح، فلنحرص على إنجاز أفضل ما نستطيع، فلا أحد يعلم الغيب وما الذي سيكون عليه الأمر خلال السنوات القادمة^(٢).

○ التقوقع على النفس:

وتهميش المسلمين أنفسهم، وضعف العلاقة مع المجتمع ومع غير المسلمين فيه، بل ومع إخوانهم المسلمين ذوي الأصول العرقية والثقافية المختلفة. وما أحسن تعلم وتعليم دروس قصة يوسف -عليه السلام-، لمثل هذا الزمان والمكان، فقد كان -عليه السلام- موحداً غريباً وحيداً عفيفاً في مجتمع غلب عليه ضد هذه الأمور، ومع ذلك عفّ مع شدة الظرف، ولم ير في الواقع مسوغاً للحرام ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾^(٣)، ولا مسوغاً لخيانة إحصان سيده إليه ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾^(٤)، وانظر كيف أدرك إحصانه حتى المجرمون في السجن ﴿إِنَّا نَزَّلْنَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٥)، ولم يأل جهداً في إتقان عمله وخدمة العزيز والعامّة مع اختلاف الدين، واغتم فرصة الدعوة والمنصب لما لاح ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ﴾^(٦)، ولم يتردد في طلب العون من سجين على غير دينه لما علم نجاته ﴿أذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾^(٧).

(١) "Legislating Fear: Islamophobia and its impact in the USA", p. vi

(٢) "التدريب القيادي" ص ٤٨.

(٣) يوسف: ٢٣.

(٤) يوسف: ٢٣.

(٥) يوسف: ٣٦.

(٦) يوسف: ٥٥.

(٧) يوسف: ٤٢.

ومن أسباب هذا التوقع: اضطراب فتاوى العلماء في علاقة المسلم بالمجتمع غير المسلم الذي يعيش فيه، بين محرم حتى للإقامة في تلك البلاد وبين مفضل لها على المجتمعات الإسلامية، وإشكالية الاحتكام إلى المحاكم والقضاء والقوانين في بلاد غير المسلمين، والصراع بين الهوية الإسلامية والثقافية من جهة والمواطنة في البلد الغربي من جهة أخرى، ولهذا فكثير من المسلمين المهاجرين ما زال يتعامل مع بلد الإقامة الغربي بعقلية الغربية والإقامة المؤقتة، دون كبير محاولة للتأسيس والبناء والإستثمار للمستقبل، وضعف مشاركة المسلمين وتأثيرهم في المجتمع الغربي، سواء المشاركة السياسية، أو الإجتماعية، أو الإعلامية، وسواء مع المؤسسات الحكومية أو مؤسسات الخدمة المدنية والحقوقية والبيئية.

ولعل مفتاح كسر العزلة يكمن في توقف المسلمين عن التعميم، وأن يدركوا أن غير المسلمين ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾^(١)، فيحسنوا التفريق بين من يُعادِيهم ومن يناصرهم ويدافع عن حقوقهم، والتفريق بين من يعينهم ومن يعين عليهم، فيحسنوا بناء علاقات التعاون على البر والتقوى والمصالح المشتركة مع غير المسلمين^(٢)، وأن يدرك المسلمون أن "ما يحدث في جزء من المجتمع يؤثر على بقيته"^(٣)، وأن يدرك أرباب العمل الدعوي في الغرب أنه لنكون معتبرين في المجتمع فيجب أن تتجاوز أهدافنا بناء المساجد للتأثير في الحياة السياسية والإجتماعية^(٤). "إن وعي المسلمين في الغرب، أفراداً ومؤسسات، إلى أهمية وسائل الإعلام في التأثير في المجتمع، بدل ترك الساحة للخصوم ليرسموا صورة مشوهة عن الإسلام والمسلمين "دون أن تتوفر لنا الفرصة العادلة للدفاع عن النفس"^(٥)، وضرورة وجود ممثلين فاعلين للمسلمين في دوائر المجتمع كافة، سواء على مستوى الحي أو المدينة أو الولاية، كل ذلك جزء من الحل. كما أنه ينبغي للمسلمون في الغرب أن يولوا اهتماماً خاصاً للمنظمات الرئيسة المؤثرة في المجتمع

(١) آل عمران: ١١٣.

(٢) انظر "فقه النوازل للأقليات المسلمة" (١٢/١-١٣).

(٣) Prof.Hammudah Abd-al Ati, "Establishment of Islamic Communities", p. ٧

(٤) Nyang, Sulayman, "Islam in the United State of America", p. ٢٤.

(٥) "التدريب القيادي" ص ٣٩.

ومشاركتهم في العلاقات الإجتماعية والسياسية والقانونية، الوطنية منها والدولية، في البلاد التي يعيشون فيها. وينبغي للمسلمين في الغرب اليوم أن يتعلموا من تجربة الأقليات الأخرى - وخاصة اليهود - الذين يلعبون اليوم دوراً هو الأكثر نجاحاً في توجيه بلاد الغرب نحو مصالحهم الخاصة. خاصة وأن المسلمين في الغرب جزء من الأمة الإسلامية الغنية بمواردها وإمكاناتها، والتي من مصلحة الغرب توثيق العلاقة معها"^(١).

فليحسن المسلمون اليوم التمييز بين الثقافة والدين، والثابت والمتغير من دين الله، فالقسم الأكبر من العزلة والصراع في عقول المسلمين في بلاد الغرب إنما هو بين عادات وتقاليد البلاد الأم التي هاجروا منها والبلاد الغربية التي يعيشون فيه طلباً للرزق أو العلم أو الأمن، لا بين تعاليم الإسلام وقوانين البلد الغربي. فليحرص المسلمون على الاستفادة من تجارب المجتمعات الغربية والتعامل مع قوانينها بالقبول والإحترام ما أمكن إلى ذلك سبيل، ما لم "تحل ما حرم الله أو تحرم ما أحل الله، أو تناقض جذرياً من مبادئ الشريعة الإسلامية ومقاصدها الكلية"^(٢). فلا ينبغي رفض الجديد والتغيير فقط لأنه جديد، ولا التمسك بالقديم لمجرد كونه مألوفاً، بل ينبغي أن يكون عندنا الإستعداد لتبني الجديد النافع ما لم يكن ثم دليل شرعي لرفضه، ويكون عندنا الإستعداد للتنازل عن المؤلف القديم ما لم يقيم دليل شرعي يستدعي الإحتفاظ به، فحقيقة الأمر أن كثيراً من المسلمين يعيشون ويقدمون للناس إسلاماً مخلوطاً بعادات وتقاليد هي أقرب للجاهلية منها للإسلام! قال الدكتور هشام الطالب في مقدمة كتابه القيم "التدريب القيادي"^(٣) عند حديثه عن محاولتهم توفير المواد اللازمة لإعداد الدعاة، وترددهم بين "أمركة" المواد الإسلامية و"أسلمة" المواد الأمريكية؟ قال: "وكانت الثانية أسهل من الأولى، لأن كل ما هو معقول ومفيد كان له سند في آية أو حديث أو قول من أقوال السلف الصالح".

(١) باختصار من مقال الدكتور سراج مفتي على الرابط التالي:

<http://www.muslimmah.org/articles/articles.php?itemno=106&category=Islam%20in%20North%20America>.

(٢) "التطرف الديني" ص ٤٠.

(٣) د/ هشام الطالب، التدريب القيادي، (ص ٦).

خلاصة وتوصيات

معوقات العمل الدعوي في المساجد والمراكز الإسلامية في الغرب وسبل التغلب عليها قد تتغير بتغير الزمان والمكان، فلا بد من مواصلة الدراسة لها ولسبل التغلب عليها. وهذه المعوقات منها ما يعود لطريقة تصميم وبناء المسجد أو المركز الإسلامي، ومنها ما يعود للقائمين على هذه المساجد والمراكز، من أئمة وإدارات وأعضاء وروّاد، ومنها ما يعود لواقع بلاد الغرب التي توجد فيها تلك المساجد والمراكز. وسبيل التغلب على هذه المعوقات تكمن، بعد توفيق الله تعالى، بالتأهيل المستمر للدعاة وللمسلمين في الغرب، تأهيلاً دينياً ودينيّاً، يشمل فقه الواقع، واكتساب المهارات الدعوية والإنسانية اللازمة، بحيث ينتقل العمل الدعوي من "التقليد" إلى "الإجتهد"، ومن المريح إلى الصحيح. وتصميم بناء المساجد والمراكز الإسلامية بحيث تشتمل على المرافق اللازمة للبرامج والنشاطات القادرة على استقطاب واستيعاب وتأهيل الوافدين إليها من المسلمين وغير المسلمين، على اختلاف أعمارهم وأجناسهم ومستوى التزامهم. وفتح الجماعات الإسلامية العاملة باب الحوار والتنسيق فيما بينها، مع الحرص على التعاون في المتفق عليه، وأن يسع بعضنا بعضاً في المختلف فيه، خاصة ما كان في المسائل الفرعية والأمور الإجتهدية^(١). واعتماد الجدال بالتي هي أحسن مع غير المسلمين، والتعاون معهم في القضايا ذات المنفعة العامة المشتركة، كالعادلة الإجتماعية وحسن الجوار والإحترام المتبادل وحفظ البيئة.

(١) المرجع السابق، ص ٥.

المراجع

- "الأقليات المسلمة في العالم"، محمد عبد العاطي، على الرابط التالي
<http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/fa45fbf5-7985-4462-b74e-b5fa1362b15b>
- "انشطة المراكز الإسلامية بأمريكا الشمالية"، د. محمد موفق الغلاييني، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، دار سراج، عمان - الأردن.
- "تحديات الوجود الإسلامي في بلاد الغرب"، الدكتور مسعود صبري، مجلة الوعي الإسلامي الكويتية الشهرية، عدد ٥٥٨، ديسمبر-يناير، سنة ٢٠١٢، الرابط
<http://www.alwaei.com/site/index.php?cID=729>
- "التطرف الديني"، الدكتور صلاح الصاوي، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩، القاهرة
- "دليل التدريب القيادي"، د. هشام الطالب، الدار العربية للعلوم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨، ط ٣،
- "فتاوى المسلم المغترب"، الملحقية الثقافية السعودية - واشنطن، دون سنة او دار نشر
- "فقه الأقليات"، الشيخ خالد عبد القادر، دار الإيمان، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م
- "شرح القواعد الفقهية"، أحمد محمد الزرقا، تحقيق مصطفى الزرقا، ط ٥، دار القلم، دمشق-سوريا، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م
- "فقه النوازل للأقليات المسلمة تأصيلاً وتطبيقاً"، د. محمد يسري إبراهيم، دار اليسر، الطبعة الثانية، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م، مجلدان، رسالة دكتوراة من جامعة الأزهر
- "معوقات الدعوة الإسلامية في الغرب"، فيروز صوالحي،
<http://www.chihab.net/modules.php?name=News&file=article&sid=845>

"موسوعة فتاوى المغتربين"، الدكتور صلاح الصاوي، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، ط ١،

٢٠٠٩-١٤٣٠م

صفحة قناة بي بي سي العربية:

http://www.bbc.co.uk/arabic/worldnews/2014/07/140729_usa_arabs_opinion

الصفحة الإلكترونية الشخصية، جودت سعيد، الرابط:

http://jawdatsaid.net/index.php?title=%D9%85%D9%81%D8%A7%D9%87%D9%8A%D9%85_%D9%81%D9%8A_%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%85%D9%84_%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8A

○ Sulayman S. Nyang, "Islam in the United States of America", 1999, ABC International group, Inc.

○ Yvonne Haddad and Adair T. Lummis, "Islamic Values in the United State; A comparative Study", new York; Oxford University Press, 1987

○ Fared H. Nu'man, "The Muslim population in the United States", 1992, 1st edition.

○ "Legislating Fear: Islamophobia and its impact in the USA"

<https://www.cair.com/images/islamophobia/Legislating-Fear.pdf>

○ "The Mosque In America", Ihsan Bagby, Ph.D.

http://icnl.com/files/Masjid_Study_Project_2000_Report.pdf

○ Prof. Hammudah Abd-al Ati, "Establishment of Islamic Communities", 1974.

○ صفحة قناة الجزيرة - [http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/fa45fbf5-](http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/fa45fbf5-7985-4462-b74e-b5fa1362b15b)

7985-4462-b74e-b5fa1362b15b